www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة| 15 كانون الثاني 2019

زيتون

العدد :187

المسؤولية التركية عن سيطرة تحرير الشام على إدلب

عدنان الصايغ

بعد تسعة أيام هدأ ضجيج المعارك التي أثارتها جبهة النصرة ضد فصائل المعارضة باتفاق استسلام وقعته الجبهة الوطنية للتحرير وهي تحالف لمجموعة من الفصائل المدعومة من تركيا، يخول ما يسمى "حكومة الإنقاذ" التابعة لجبهة النصرة السيطرة الإدارية والعسكرية على كامل إدلب.

ووصف الموقف التركي طيلة تسعة أيام سبقها أيام طويلة من حشودات النصرة حول مناطق سيطرة الفصائل المقربة منها بالمتفرج ميدانيا والغامض سياسيا، ففضلا عن امتناعها عن تقديم أي دعم للفصائل المقربة منها، خرجت تصريحات مسؤوليها عن اعتداءات النصرة وتقدمها على الأرض غامضة وقابلة لتأويلات مختلفة، رغم توصيفها السابق لجبهة النصرة بأنها إحدى التنظيمات الإرهابية في قوائمها.

وزير الخارجية التركي "مولود جاويش أوغلو" قال في مقابلة تلفزيونية تركية الخميس الماضي بأنه "ليس من السهل الحفاظ على الاتفاق المبرم مع روسيا لكنه ينفذ بنجاح حتى الآن" مضيفا أن تركيا تتخذ الإجراءات الاحترازية الضرورية.

ويرجع معارضون سوريون الموقف التركي الصامت إلى انشغال تركيا بالتحضير لمعركة شرق الفرات هو ما أتاح الفرصة لجبهة النصرة بالتقدم على الأرض، مستبعدين وجود مصلحة سياسية لتركيا بالتعامل مع عناصر يتبعون لتنظيم القاعدة.

ولتحليل الموقف التركي يجب الانطلاق من الأولوية القصوى في ضرب المشروع الكردي، ويمكن الفهم بأن حل فصائل الزنكي وأحرار الشام وصقور الشام لصالح النصرة سيمنحها قوة أكبر في التعداد على الأرض في المعركة المرتقبة شرق الفرات، بالإضافة إلى ما يمكن أن تمنحها سيطرة النصرة من أوراق ضغط ومساومات سياسية وخصوصا أن معركتها لم تبدأ شرق الفرات بعد.

ولربما تملك قيادة الفصائل المنحلة والمطرودة كالزنكي وأحرار الشام وصقورها إجابات أوضح عن سر الموقف التركي، وإن كان الظرف ليس مناسبا لاستعداء تركيا حاليا.

ومن اللافت أن ما تم الاتفاق عليه في المفاوضات الأخيرة التي جرت بين تركيا الضامن لفصائل المعارضة السورية وروسيا الضامنة لنظام الأسد قضى بأن حل جبهة النصرة وسحب سلاحها من المناطق الفاصلة وفتح طرق الرئيسية بين دمشق وحلب واللاذقية لم ينفذ، بل حدث عكس ذلك وهو توسع سيطرة جبهة النصرة.

ونتيجة لهذا التوسع فإن مناطق كانت تحت سيطرة أحرار الشام في سهل الغاب ومناطق أخرى في جبل الزاوية كانت تحت سيطرة صقور الشام وأخرى في ريف حلب الغربي تحت سيطرة حركة نور الدين الزنكي كلها ضمت إلى خزينة حكومة الإنقاذ الوجه المدني لجبهة النصرة.

ويرى محللون أنه من غير المستبعد أن يكون هذا الانسجام في الموقف التركي مع التقدم لجبهة النصرة على الأرض نتيجة لاتفاق يخدم كلا الطرفين، لا سيما أن سيطرة النصرة على إدلب أسهل على أنقرة وأقل تكلفة من شنها حربا عليها من خلال فصائلها المعارضة المقربة لها.

من جهة أخرى أثبتت جبهة النصرة بأنها طرف مرن يمكن الاعتماد عليه في تصريف الاتفاقات كما حدث في اتفاق شرق السكة ومرافقة أرتال نقاط المراقبة التركية وتأمين الحماية لها، وهو ما يشير إلى وعي قيادة جبهة النصرة بخطورة خروجها عن الإرادة التركية في السيطرة على إدلب، بمعنى أخر أنها لن تجرؤ على اتخاذ خطوات قد تغضب أنقرة، في وقت بدأت فيه خطوط التسويات السياسية تتجلى وبات على الجميع أن يأخذوا أماكنهم على طاولة المفاوضات، وهو ما ترغب فيه جبهة النصرة المستعدة لتقديم أي تنازل يضمن بقائها شكليا.

يذكر أن المفارقة في مأساة ضحايا اليوم هي أنهم قد شاركوا المجرم بالأمس، فحركة أحرار الشام ظلت على موقف الحياد أمام تفكيك النصرة لفصائل أخرى سابقا، في وقت كانت هذا الفصائل ترى فيها السند القوي الذي افتقدته حين هاجمتها قوات النصرة، كذلك حين تحالفت حركة نور الدين الزنكي وأبو عيسى الشيخ قائد صقور الشام مع جبهة النصرة دون أن يبادروا إلى إنقاذ الثور الأبيض، مأخوذين بالخطاب الإسلامي، ليأتي دورهم اليوم ويتخلى عنهم الحليف التركي الذي يستندون إليه، ومن المؤكد أننا سنرى عما قريب كيف ستتخلى تركيا عن جبهة النصرة وربما دون رحمة.

معارك الهيئة واستنزاف للجبهة الوطنية

خاص زيتون

بعد انتهاء الاشتباكات التي استمرت عشرة أيام على التوالي بين "هيئة تحرير الشام" وعدة فصائل من مكونات الجبهة الوطنية للتحرير، وما نتج عنها من سيطرة لهيئة تحرير الشام على محافظة إدلب وأرياف محررة من محافظتي حلب وحماه، كان من الواضح حينها وفي عملية حسابية واقعية ومن وجهة نظر محايدة أن الأمور ستفضي إلى انتصار جبهة النصرة، وذلك لأسباب أبرزها وحدة الصف الداخلي للأخيرة ومركزية القرار، بالإضافة إلى الإيديولوجيا التي تلقن بها عناصرها في أنهم يقاتلون "كفار – مرتدين – عملاء للغرب".

وخلال سير المعارك وتجلي اعتداء الهيئة السافر على فصائل المعارضة لم يعلن أياً من مكونات الهيئة اعتزال القتال أو الانشقاق عنها، وببساطة فمعظم عناصرها "مأدلجين" وفق المنهج "السلفي الجهادي" الرافض للأخر تحت حجج وذرائع دينية، أما عناصر الجبهة الوطنية للتحرير فأن أغلب مكوناتها انضوت تحت هذه الراية بضغط تركي لتنفيذ مخرجات "سوتشي" والسماح لتركيا بالمراوغة أكثر في ميدان التفاوض بشكل عام، وتثبيت وقف إطلاق النار "النسبي" في الشمال السوري.

كما أنها في خلافتها السابقة مع النصرة كانت تلقن عناصرها أنهم "إخوة لنا بغوا علينا" ولم تعلن العداء لها إلا في وقت متأخر، بعد أن صفت أو أضعفت معظم منافسيها.

أضف إلى ذلك تشتت هذه الفصائل واختلاف مناهجها الفكرية وتلون وتقلب بعضها، على حسب المصلحة التي يراها مناسبة له، ومن أشد الأمثلة وضوحا هي حركة الدين الزنكي، التي تتعرض للهجوم اليوم.

وبدأت حركة الدين الزنكي كفصيل في الجيش الحر ثم انضمت إلى صفوف هيئة تحرير الشام في بداية تشكيلها، ولم تلبث أن انشقت عنها حين هاجمت الهيئة حركة أحرار الشام، واتخذت موقف الحياد أثناء ذلك مع باقي فصائل الجبهة الوطنية الحالية.

المثال الأخر هو جيش الأحرار، الذي كان جزءاً من "أحرار الشام" ثم انشق عنها، ولم يشارك في أي قتال داخلي حتى اللحظة، وكان ممن انضم مؤخراً إلى صفوف الجبهة الوطنية للتحرير، وهو من حيث العدد والتسليح يعتبر من أبرز مكوناتها ويبلغ عدد مقاتليه قرابة ٧٥٠٠ مقاتل على الأقل، ولكن دون فائدة فعلية، إذ أنه يشاركها شكليا فقط.

مما سبق فإن المعركة بوضعها الحالي دون تدخل أكبر مكونين للجبهة الوطنية للتحرير "جيش الأحرار- فيلق الشام" بكامل إمكانيتهما، سيكون استنزاف طويل الأمد للجبهة الوطنية وتحقيق "النصرة" المزيد من المكاسب على الأرض، ولا سيما أن الأخيرة تعتمد بشكل مباشر على دعم ذاتي من واردات المعابر التي تسيطر عليها والضرائب التي تفرضها على السكان عبر حكومة "الإنقاذ" التابعة لها، فضلا عن إيرادات الاستثمارات التي تخضع لها بشكل مباشر، وبيع منشآت كبرى وتفكيك السكك الحديدية وغيرها من أعمال "التعفيش".

فيما لا تتوفر لدى معظم الفصائل في الجبهة الوطنية موارد كافية غير ما يصلها من الحكومة التركية، وللعلم فأن جل عناصر فصائل الجبهة الوطنية لم يحصلوا على رواتب منذ عدة شهور.

اتفاق بطعم الاستسلام.. النصرة تدخل الأتارب بالقوة والنار

وقع وجهاء مدينة الأتارب بريف حلب الغربي أتفاقاً مع هيئة تحرير الشام في السادس من كانون الثاني الحالي، وذلك بعد استهداف المدينة بنيران الأسلحة الثقيلة بشكل عنيف.

ونص الاتفاق الذي وقعه وجهاء مدينة الأتارب وثوار الشام وبيارق الإسلام مع هيئة تحرير الشام، وتناقلته صفحات الأتارب الإلكترونية، إلى حل فصيلي ثوار الشام وبيارق الإسلام وإبقاء سلاح الكتائب المرابطة على جبهات النظام.

كما نص الاتفاق على تبعية مدينة الأتارب أمنياً وعسكرياً لهيئة تحرير الشام، وتبعيتها إدارياً وخدمياً لحكومة الإنقاذ، وعدم السماح لعناصر وقادات درع الفرات البقاء في مدينة الأتارب.

فيما تعهدت هيئة تحرير الشام بموجب الاتفاق بتأمين عناصر ثوار الشام وبيارق الإسلام وعدم ملاحقتهم وتحويل القضايا الجنائية والدعاوي الخاصة للقضاء.

ووصف ناشطون الاتفاق بأنه كسر لإرادة أهالي المدينة التي تعتبر من أكثر المدن ثورية ومقاومة للتنظيمات المتطرفة، معتبرين الاتفاق هو بمثابة احتلال بقوة السلاح واستهانة بتطلعات الأهالي، كما لاقى الاتفاق استهجانا شعبيا واستنكارا من تجبر هيئة تحرير الشام واقتحامها المدن بالقوة رغما عن رغبة ثوارها.

وكانت مقاطع صوتية نقلت مناشدات الأهالي تطالب بالتدخل لوقف تقدم هيئة تحرير الشام تخوفا مما قد يجره دخولها من انتقام من الثوار.

كما نقلت مقاطع مصورة أخرى رتلا عسكريا قال مصوره إن حركة نور الدين الزنكي كانت قد تركته خلفها أثناء انسحابها باتجاه مناطق غصن الزيتون، يظهر فيه دبابتين وعربات وسيارات عسكرية.

يذكر أن هيئة تحرير الشام قد حاصرت بعشرات الأليات العسكرية والدبابات مدينة الأتارب مساء اليوم، بعد تمكنها من السيطرة على منطقة جبل سمعان آخر معاقل حركة الزنكي في المنطقة.

النصرة تنهي وتحل حركة أحرار الشام في الغاب وشحشبو

اتفقت حركة أحرار الشام الإسلامية في منطقة سهل الغاب وجبل شحشبو، اليوم الأربعاء، مع هيئة تحرير الشام، على حل نفسها وتبعية المنطقة لحكومة الإنقاذ إداريا وخدميا.

وجاء في نص الاتفاق الذي وقعه ممثلون عن حركة أحرار الشام وهيئة تحرير الشام اليوم: "حل حركة أحرار الشام في منطقة الغاب وجبل شحشبو".

وتضمن الاتفاق تسليم السلاح والمتوسط لهيئة تحرير الشام مع الإبقاء على السلاح الفردي في أيدي عناصر الحركة "سابقا"، وترتيب الرباط والأعمال العسكرية بإشراف هيئة تحرير الشام، وسمح الاتفاق لمن يريد بالخروج إلى مناطق غصن الزيتون بالتنسيق مع الهيئة.

وتعهدت هيئة تحرير الشام بعدم ملاحقة أي شخص شارك في القتال في منطقة الغاب وجبل شحشبو.

وجاء هذ الاتفاق بعد معارك بدأتها هيئة تحرير الشام على مناطق سيطرة أحرار الشام أحد مكونات الجبهة الوطنية للتحرير أمس الثلاثاء، في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الغربي، أدت إلى سيطرة الهيئة على عدة قرى وبلدات في المنطقة.

وكان القيادي في الجبهة الوطنية للتحرير وقائد حركة أحرار الشام "جابر علي باشا" قد توعد في تسجيل صوتي له بالأمس هيئة تحرير الشام بأن المواجهة "لن تكون نزهة " داعيا عناصر الجبهة للمقاومة حتى النهاية مرجعا أسباب اعتداء "الجولاني" إلى رغبته في السلطة والبغي.

اليقظان المصري.. شرعي النصرة لتحرير المحرر

بشار بن برد

شنت هيئة تحرير الشام كعادتها هجوما على حركة نور الدين الزنكي بذريعة مقتل أربع عناصر لها في بلدة "تلعادة" التي تقع تحت سيطرة الزنكي، ويعلم القاصي والداني أن هذا النهج في "تحرير المحرر" لم ينتهجه إلا فصيلين في منذ بداية الثورة السورية "داعش-النصرة" إضافة إلى بعض الجماعات الصغيرة التابعة لهما.

ويختلف هذين التنظيمين عن كل الفصائل والجماعات التي تنقسم عادة إلى متشددين صقور ومعتدلين حمائم، غير أن داعش والنصرة يعتبران أن الاعتدال رزيلة والتشدد هو الأفضل ولا يضمان في قيادتيهما سوى المتشددين والأقل تشددا.

ويستغل التنظيمان القسم الأول المتشدد لقتال كل من يخالف منهجهم من الجيش الحر وغيره، فيما تستخدم الأقل تشدد في قتال الأعداء المجمع عليهم "إن صح التعبير" مثل إيران وحزب الله ونظام الأسد وروسيا والميليشيات التي تقاتل تحت رايتهم، وبهذا ترضي جميع التيارات وتنفذ من خلالهم الأجندات التي تزيد من مكاسبها على الأرض، من اتساع رقعة السيطرة إلى الموارد المالية والأوراق التفاوضية.

منذ شهر ونصف تقريباً قال "أبو اليقظان المصري" أبرز المتشددين في "هيئة تحرير الشام" وهو يخطب في أحد مساجد ريف حلب منتقداً "الجولاني": "من يضع خطوطاً حمراء مزورة كاذبة بأنه يرفض اتفاق سوتشي فلماذا لا يبدأ عملاً على جيش النظام المرتد؟، ولو عملاً نوعياً خلف خطوط العدو البعيد في ثكناته في حمص وحلب ودمشق ودرعا، أو خلف خطوطه القريبة هنا في جبهاتنا، الذي يضع خطوطاً حمراء أن تتحول إدلب إلى مصير "الفساد" في درع الفرات وغصن الزيتون، فلماذا يرحب بالجيش التركي ولماذا يمكن له في إدلب ويرفع رايات الحكومة العلمانية؟، إن استمرارية الجهاد خطوط حمراء فلماذا يخرس ألسنة من يحرض على قتال النظام الكافر وأعوانه"، وأضاف مخاطباً أنصاره "إياكم أن تنخدعوا بخدعة الخطوط الحمراء" ثم ختم كلامه "لعلي لا ألقاكم بعد هذه الخطبة".

وتوحي جملة أبو اليقظان المصري إلى احتمال أن يقوم الجولاني بسجنه أو قتله بعد خطبته، ولكن الحقيقة أن أبو اليقظان الذي تدور حوله الكثير من الشبهات هو صانع الألعاب الأفضل في هيئة الجولاني، ولا ينسى الكثيرون فتواه الشهيرة في قتال حركة أحرار الشام حين قال موصياً عناصر هيئة تحرير الشام: "إذا لم تستطع أن تسيطر على الحاجز اضرب بالرأس وإذا سألك رب العالمين يوم القيامة قل له أبو اليقظان مفتي الجناح العسكري أمرني".

يقود أبو اليقظان اليوم القتال في دارة عزة وغيرها، يتحدث وكأن الله أعطاه وكالة حصرية لخلافته في الأرض، يميز المؤمن من الكافر والمصلح من المفسد ويوزع الشهادات في الدنيا والله يختمها له في الأخرة!، ثم ليخرج علينا منذ أسبوع من على ذات المنبر ليحرم القتال مع الجيش التركي معيبا على المقاتلين تبجحهم علناً قتالهم في معركة لا ناقة له فيها ولا جمل حسب تعبيره.

لم يطل كثيرا رد الجولاني، أتريد معارك؟ أو ترغب بقتال الكفار والمرتدين؟ أمامك الزنكي فهم مرتدون لا يتبعون نهجنا، كما أنهم لم يبايعوني، ودعك من الخطوط الحمراء والصفراء، واقتل في سبيل الله الذي هو سبيلي من شئت، مقاتلين ومدنيين وكوادر طبية.

وتكفل أبو اليقظان أن يعلم المقاتلين تطبيق كلامه السابق عملياً، في كيف يكون القتال ومن أجل ماذا، فهذه المعركة الناقة والجمل فيها للهيئة لتستكمل سيطرتها على المعابر، وبالتالي ضخ المزيد من الدولارات لخزينة الهيئة، وكسب المزيد من الأوراق التفاوضية مع النظام وحلفائه من جهة، ومن جهة أخرى مع الأتراك أنفسهم حول مصير المنطقة وتقسيم وتسليم وتوزيع الحصص والمكاسب، بالإضافة إلى تصفية جميع الفصائل التي ربما تشكل خطراً على فكر ومنهج الهيئة.

ولو سلمنا برواية هيئة تحرير الشام عن تأخر الزنكي للمدة المحددة في تسليم المشتبه بهم، ألا يستحق حقن الدماء مهلة إضافية، رغم أن شهود عيان أكدوا أن هيئة تحرير الشام كانت تحشد قواتها في محيط "دارة عزة" قبل انتهاء المدة المحددة، كما أن المتابع لمجريات الأحداث هناك يستطيع أن يكتشف أن هذا الأمر قد خطط له ودبر له مسبقاً.

هناك الكثير من الأسئلة تحتاج إلى أجوبة؟ وربما كانت أجوبتها أمام أعيننا، من أبرزها:
كيف تستطيع الهيئة أن تهاجم وتصد هجوم جميع الفصائل في وقت واحد ومن كل المحاور دون أن يرف لها جفن، ولا تستطيع فتح معركة على جيش الأسد وحلفائه ولو من محور واحد؟.
من أجل ماذا تقاتل هيئة تحرير الشام؟.

على خطى الأسد تحرير الشام تهجر ثوار الأتارب

خاص زيتون

خرج ثوار الأتارب اليوم باتجاه مدينة عفرين شمال حلب، تطبيقاً للاتفاق الذي وقع بين وجهاء المدينة و"هيئة تحرير الشام" الليلة الماضية والذي يقضي بتسليم المدينة لهيئة تحرير الشام وحل فصيلي ثوار الشام وبيارق الإسلام وخروج عناصرهما من المدينة.

وكانت هيئة تحرير الشام قد حاصرت المدينة التي تعتبر أخر معاقل الثوار في ريف حلب الغربي يوم أمس، واستهدفتها بالرشاشات الثقيلة بغية إخضاعها كما أخضعت قبل أيام مدينة دارة عزة وبلدات أخرى كانت تحت سيطرة حركة نور الدين الزنكي.

الخروج كان على دفعتين، الدفعة الأولى بلغت ١٢٠ مقاتل خرجوا من معبر الغزاوية، فيما احتجزت "الهيئة" الدفعة الثانية ومنعتها من الخروج لبعض الوقت لتسمح لهم لاحقاً، وذكر شهود عيان أن سبب توقيف القافلة هو قيام أحد الشرعيين لدى الهيئة بإلقاء عبر ومواعظ دينية للخارجين.

وأرجع ناشطون سبب خروج معظم الثوار لتخوفهم من أعمال انتقامية قد تقوم بها هيئة تحرير الشام بحقهم، كما حصل في مناطق أخرى كقبتان الجبل وغيرها.

وأثار هجوم هيئة تحرير الشام على بلدات ريف حلب الغربي استنكارا واسعا شهدته وسائل التواصل الاجتماعي، عبر فيها النشطاء عن غضبهم من ممارسات هيئة تحرير الشام ونهجها منهج نظام الأسد في الاعتداء على المدن وتهجير ثوارها، كما تم إطلاق هاشتاغ #الثورة_ستنتقم في إشارة إلى عدم تسامحهم مع عناصر الهيئة مستقبلا.

وعلق نائب قائد حركة أحرار الشام "أبو العز أريحا" على خروج ثوار الأتارب في تغريدة له قال فيها: "ثوار الثماني سنوات في أتارب الكرامة تهجر كما هجر ثوار الغوطة وغيرهم على يد الأسد وميليشياته، من أريق دمه على عتاب فوج الـ ٤٦، ومن نكل بالخوارج ليكتب له مداد من نور لا يمسح على جبين الشرف والثورية، يأتي من لا يستحق ليُخرج ويُهجر من لو أقسم على الله لأبره".

وتداولت صفحات التواصل الاجتماعي صورا لعناصر هيئة تحرير الشام وهم يقومون بحرق علم الثورة والدعس عليه، في مشهد لا يختلف عما يقوم به عناصر قوات النظام لدى اقتحامها للمدن، كما تناقلت أنباء عن ترديد شعارات تكفر الجيش الحر والثوار وتشتم شهدائهم.

وكانت هيئة تحرير الشام قد بدأت منذ أربعة أيام هجوماً واسعاً على معاقل حركة نور الدين الزنكي في ريف حلب الغربي، على خلفية مقتل أربعة عناصر لها اتهمت الزنكي بقتلهم، وانتهت بالسيطرة على جميع مواقعهم.

بعد أكثر من ٦٠٠ ضحية.. دليل للسلامة الصحفية في سوريا

أصدرت مجموعة من المؤسسات الإعلامية السورية يوم الجمعة الماضي دليلا لسلامة الصحفيين السوريين، وذلك بهدف الحد من المخاطر التي تواجه العاملين الصحفيين أفراداً ومؤسسات في سوريا.

وأطلق الكتاب الذي حمل اسم "دليل السلامة المهنية للعمل الإعلامي في سورية" في حفل أقيم بمقر مركز حرمون للدراسات في مدينة إسطنبول التركية، حضره صحفيون ومهتمون بالعمل الصحفي ومؤسسات إعلامية.

قام بتأليف الكتاب مجموعة من منسقي السلامة لثمان مؤسسات صحفية هي صحيفة سوريتنا وعين المدينة وعنب بلدي وزيتون وروزنة وشبكة الصحافيات السوريات وصدى الشام والشبكة السورية للإعلام المطبوع، وذلك بدعم ورعاية من منظمة "أي أم أس"، عبر مجموعة من الورشات والاجتماعات دامت أكثر من أربعة عشر شهرا بحسب منسق سلامة راديو روزنة "تمام المبيض" الذي أضاف أن الكتاب لم يحط بجميع المخاطر المحدقة بالعمل الصحفي في سوريا لكنه خطوة مهمة ولبنة أولية يمكن البناء عليها مستقبلا.

وجاء في مقدمة الكتاب الأسباب التي دفعت إلى العمل لإيجاد هذا الكتاب وأهميته: " وُصفت سورية بأنها أخطر الدول على عمل الصحفيين منذ أن انطلقت فيها الاحتجاجات منذ ٢٠١١، نظراً لما تعرضوا له من اعتداءات من قبل النظام الحاكم أولاً ثم من مجمل الأطراف المتصارعة بأشكال ودرجات مختلفة، ولذلك عمل فريق السلامة السوري على توفير دليل لسلامة الصحفيين السوريين، بسبب خصوصية كل حرب ومنطقة وفرادة ما تفرزه من مخاطر وتهديدات، وتحول الصحافة في سورية من مهنة متعبة إلى مهنة مميتة، فكان لا بد من وجود دليل سلامة خاص للصحفيين السوريين".

وتأتي أهمية الكتاب من استخلاص نصائحه من تجارب واقعية عاشها ومر بها الصحفيين السوريين، قام فريق السلامة باستقصائها والتواصل مع ضحاياها ليقدموا أهم الإجراءات التي يمكن أن تزيد في حماية الصحفي أو أن تحد من خطورة التهديدات.

ويرى الناشط الإعلامي "عيسى الخضر" أن الكتاب وإن تأخر في الظهور إلا أنه يعتبر بارشاداته وثيقة مهمة للعاملين في الإعلام ولا سيما في زمن الحروب أو التغطية الصحفية في مناطق النزاعات، كما يتطلع "الخضر" إلى تحديث الكتاب في المستقبل وتحويل بعض المواد فيه إلى فيديوهات مرئية بدعم من منظمة أي إم أس.

لا يقتصر الكتاب على إجراءات السلامة الخاصة بالأفراد الصحفيين فقط، بل يتناول في جزء واف منه مسؤولية ومهام المؤسسات الإعلامية في حماية نفسها وحماية العاملين فيها، وقد استعان فريق السلامة بمعظم القائمين على العمل الصحفي في المؤسسات المشاركة.

يتناول الكتاب أكثر من ٢٥ تهديدا قدم فيها الأشكال المحتملة للمخاطر وكيفية حدوثها وأهم الإجراءات التي يجب اتباعها قبل وأثناء وبعد حدوث التهديد، إضافة إلى حوادث مشابهة وقعت وأهم ما قدمه الضحايا من عبر ونصائح.

أهم ما يناقشه الكتاب قضايا الضغط النفسي والمخاطر القانونية والإطار العام والتعقب التي يتعرض لها الصحفيون، وحوادث الخطف والتهديد والقتل والاعتقال، كما يتناول سلامة الاجتماعات السرقة ومخاطر السفر والعمل في الخطوط الأمامية وطرق التعامل مع حواجز التفتيش.

وشاركت شبكة الصحفيات السوريات بمجموعة من المخاطر التي تخص عمل المرأة في قطاع الصحافة منها التمييز ضد النوع الاجتماعي ومشاكل التحرش والعنف الالكتروني.

ويضم الكتاب إرشادات مهمة لتحديد المخاطر وتحديد مستواها وجديتها، وطرق التعامل معها، مشيرا إلى أن إن سلامة الصحفيين هي إحدى الدعائم الأساسية في تشكيل صحافة سورية حقيقية، ما يجعل منها قضية ذات أولوية أمام المؤسسات والمنظمات الصحفية لا بد وأن تأخذ حقها من الاهتمام الكافي.

يذكر أن أكثر من ٦٠٠ عاملا في المجال الصحفي قد لقوا مصرعهم في سوريا منذ عام ٢٠١١، وما تزال الانتهاكات ترتكب بحقهم والتي كان أخرها مقتل الإعلاميين "حمود جنيد ورائد الفارس" واختطاف الصحفي "عبد الغني العريان" أمس من أمام منزله.

فضائح امرأة شرقية.. مجموعة قصصية جديدة

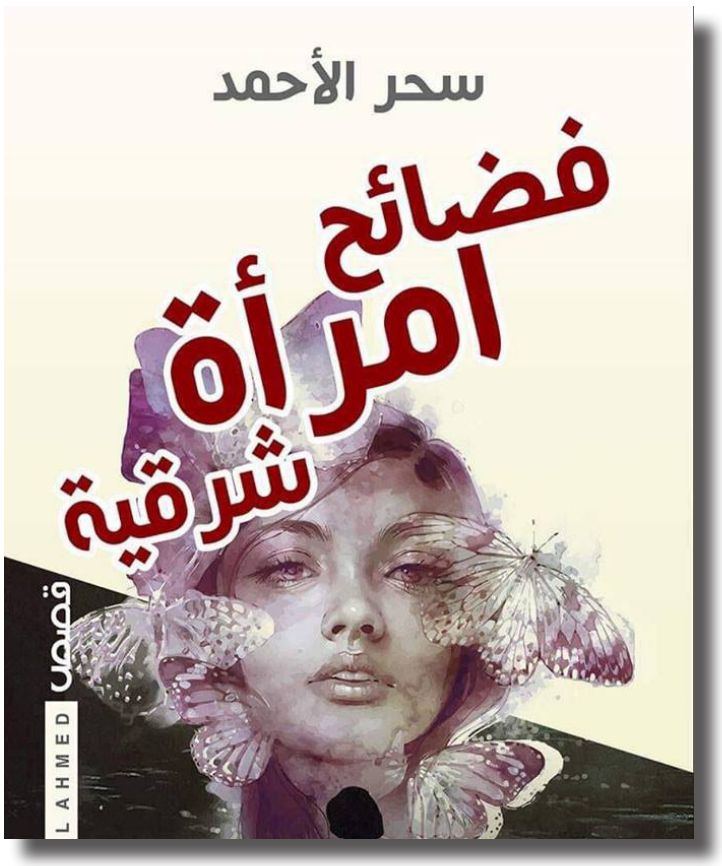

أصدرت الكاتبة السورية "سحر الأحمد" باكورة أعمالها في مجموعة قصصية تحمل عنوان "فضائح امرأة شرقية" صدرت عن دار بردية للنشر.

يتضمن الكتاب تسع عشرة قصة تحكي عبر ٧٥ صفحة واقع المرأة الشرقية بجرأة وحرية، ويتلمس مواطن الظلم الذي تتعرض له، وصراعها مع الموروثات الشعبية التي تنال من مكانتها.

وقالت مؤلفة الكتاب "سحر الأحمد" لزيتون: "معظم القصص نشرت سابقا في وسائل الإعلام وتم جمعها في مجموعة قصصية، وهي مستمدة من تجارب وأحداث واقعية، وتجسد صرخة المرأة الشرقية ومعاناتها".

وأكد مسؤول النشر بدار بردية "عبد السلام الشبلي" لزيتون أن المجموعة القصصية "فضائح امرأة شرقية" ستشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب في الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني الحالي.

المؤلفة هي خريجة كلية التجارة والاقتصاد جامعة دمشق، ولدت في دمشق ١٩٦٢، انفكت من عملها في أركان الجيش السوري وتفرغت بعدها لتربية أولادها، تعيش منذ أربع سنوات في باريس، نشرت في جريدة كل العرب والقدس العربي وزيتون.

مقارنة بين إعلام مستَبِدّين.. النصرة والنظام

تيسير محمد

بالتكبيرات والأحضان والبكاء، استقبل بعض أهالي بلدة "الهوتة" بريف إدلب المسيطر الجديد على البلدة، ولكن هذه المرة لم يكن جيش النظام، والأهم أنه لم يكن إعلامه هو من بثّ تلك المقاطع التي أظهرت لحظات الدخول تلك.

بالتكبيرات والأحضان والبكاء، استقبل بعض أهالي بلدة "الهوتة" بريف إدلب المسيطر الجديد على البلدة، ولكن هذه المرة لم يكن جيش النظام، والأهم أنه لم يكن إعلامه هو من بثّ تلك المقاطع التي أظهرت لحظات الدخول تلك.

إعلام جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام) هو من بثّ لحظات دخول عناصرها إلى تلك البلدة الصغيرة مقتدياً بإعلام النظام، والذي لم يدخل جيشه منطقة إلا وأتحفنا بمقاطع مماثلة تصوّر فرحة أهلها بدخول مخلّصهم على حدّ وصف إعلامه، وكان آخر تلك المقاطع في درعا، والذي دخلها مثلما دخل غيرها بالحديد والنار.

بالنسبة لإعلام النظام لم تعد تلك الصور والادعاءات غريبةً على أحد، أما بالنسبة لإعلام تحرير الشام، والتي سيطرت هي وحكومتها (حكومة الإنقاذ) مؤخراً على معظم مفاصل الحياة في الشمال السوري انطلاقاً من إدلب إلى ريف حلب الغربي وريف حماة الشمالي، فقد كان الأمر جديداً ومثيراً لكثير من التساؤلات حول إعلامها.

هل وجد إعلام تحرير الشام قدوته في إعلام النظام كما وجد قاداتها وعناصرها قدوتهم بقوات النظام، وحكومتهم بحكومته، والجولاني بالأسد المثل الأعلى له؟

هل رأى ذلك الإعلام في توسع سيطرة تحرير الشام نصراً مؤزراً يشبه انتصار النظام حتى بات يصوّر دخول أرتالها إلى مدن وبلدات الشمال وفرحة أهلها بذلك، كما يصوّرها؟

تعاطي إعلام النصرة مع الوقائع

وسائل الإعلام المحسوبة على "المعارضة" ترصد وتتابع بشكل دائم الأخبار في الشمال السوري، المكان الوحيد الذي بقي تحت سيطرة فصائلها، ولكن المريب في تغطية هذه الأحداث هو كيفية تعامل إعلام "النصرة" ومن يدور في فلكها مع الوقائع، والتي تتطابق إلى حد بعيد مع نهج نظام الأسد وإعلامه في تعاطيه مع الثوار وتدوير الزوايا وقلب الحقائق.

ومؤخرا غطت تلك الوسائل الصراع بين "هيئة تحرير الشام" وباقي الفصائل، وفي كل مرة يحصل فيها صدام بينهما يستطيع المتابع أن يلاحظ كمية الضخ لإعلامي لمؤيدي النصرة، وتدليس الحقائق بشكل يشبه إلى حد ما طريقة الجيش الإلكتروني لنظام الأسد مع فارق "الأعداد والإمكانيات"، فالأخير هو عبارة عن مجموعة مجندين على مواقع التواصل الاجتماعي قُدر عدد حسابتهم بـ ١٠٠ ألف، وقد يدير الشخص الواحد منهم أكثر من حساب في نفس الوقت، أوعزت لهم الأجهزة الأمنية وضع أسماء وهمية واستخدام صور وشعارات ناشطي الثورة، ومهمتهم بالدرجة الأولى اللعب على الحالة النفسية من خلال نشر أخبار حقيقية أو مزيفة بشكل يؤثر على معنويات الثوار، وضرب سمعتهم وخاصة الشخصيات القيادية، ومن خلال موجات من الضخ الإعلامي بشكل متكرر، يضعون القيادات والأهم هو أنك عندما تسمع وترى هذه المشاهد من حقك أن تتساءل عن سبب هذه الفرحة والسرور حتى البكاء عند دخول الهيئة إلى "الهوتة"؟، فهل كان عناصر الفصائل يغتصبون النساء ويقتلون الأطفال مثلاً؟، أم أنهم كانوا يقصفون المدنيين بالبراميل وجاءت الهيئة وخلصتهم؟

هل سيتغير الوضع بعد دخولهم؟ أم أن حكومتهم "الإنقاذ" ستقوم بتوزيع الرواتب وتعبيد الطرقات ومحاربة البطالة...و....و؟

الإجابة الوحيدة لهذه التساؤلات هي أن كل ما بات يُروّج له ما هو إلا في سياق الـ "Propaganda" التي تنتهجها الهيئة وصبيانها للترويج بأنها تمتلك الحاضنة الشعبية في الشمال.

ولو حاولنا إحصاء عدد الناشطين الذين اعتقلوا أو مازالوا في السجون من قبل الهيئة، ستجد أن مئات الناشطين اعتقلتهم الهيئة أو أطراف محسوبة عليها، ناهيك عن الذين ما زالوا قيد الاحتجاز حتى اللحظة، أو الذين استشهدوا تحت التعذيب في سجونها، أو من طالتهم أيديها دون الحاجة للاعتقال.

المعتقلون في سجون النظام يظهرون على الإعلام بأفضل حال، حتى تكاد تشعر أن حالهم أفضل من وجودهم بين أهليهم.

على الجانب المقابل، تتبجّح النصرة وأزلامها بالتزامها بأخلاق الإسلام والتعامل مع الأسرى الذين تصفهم بـ "الإخوة" على الصفحات التابعة لها، وتنشر صور بعض المعتقلين لديها وهم يجلسون في بيوت مرتبة مُدفّأة وقد وضعت أطباق الفواكه أمامهم، مع أن المقاطع والصور الملتقطة للحظات اعتقالهم تظهر عناصرها وهم يسوقوهم كالأغنام، كما أظهرت مقاطع أخرى تهديداتهم وتغنيهم بأمجادهم بقتال بقية الفصائل قتال أعداء لا "إخوة" كما تدعي الصور والبيانات.

أوراق مكشوفة ولثام

ربما تتساءل عن الفضائح والتجاوزات التي تنتشر عن بعض قيادات وعناصر فصائل الجيش الحر بشكل أكبر وأوسع من التابعين لـ "جبهة النصرة"، والسبب ببساطة أن قيادات النصرة جُلها غير معروفة، وأسماؤهم مجهولة، وحتى عندما يظهرون للإعلام يضعون اللثام غالباً.

على عكس قيادات الجيش الحر أو الثوار فأوراقهم مكشوفة، وتستطيع أن تعرف كل شيء عن أي قيادي خلال لحظات عن طريق محركات البحث، أو بسؤال أحد معارفه أو أقاربه وجيرانه، وبالتالي عندما يرتكب أي خطأ مهما كبُر أو صغُر ينتشر خلال بضع ثوانٍ (cv) عن كامل حياته طيلة السنوات الماضية.

بالمقابل يقوم إعلام النصرة والمحسوبين عليها من خلال العديد من الحسابات المعروفة أو غير المعروفة والتي تضع المؤثرة في دائرة الشك والاستهداف الدائم، مما يؤدي إلى عدم احترامهم وإثارة الريبة فيهم واستحالة الاتفاق على شخصية قيادية كما جرى إرهابي، عميل، تكفيري، مندس، إلى آخر الألقاب المعروفة لدى الجميع، والتي أطلقها نظام الأسد وسئم المتابعون لإعلامه من تكرار ترديدها على كل من يخالفه.

الاعتقال مصير المناهضين

أما تحرير الشام، فمنذ ظهورها كـ جبهة النصرة وحتى اليوم، لم تبتعد عن الاقتداء بالنظام، ووجدت لها تهما تطلقها وتوجّهها لكل من يخالف مشروعها أو يقف ضده، ومنها على سبيل المثال "عميل، مرتد، كافر، مرتزق، عدو الله".

الجهتان تعتبران نفسيهما المدافع عن الإسلام كل عن طريق أدواته "المشايخ، الشرعيين"، كما تشتركان في إحكام القبضة الأمنية وتكميم الأفواه.

علم الثورة أو أحد رموزها بالدفاع باستماتة عن النصرة ونهجها وأميرها الجولاني، والطعن والتشكيك في نوايا الثوار وأفعالهم ونزاهتهم.

مع التركيز التام على عدد المرات عن تجاوزاته.

في حادثة اعتقال الناشط "بلال سريول" قبل نحو شهرين، طالب الناشطون على الفور فصيل "السلطان مراد" بالإفراج عنه بسبب معرفة الجميع بالجهة التي قامت بالاعتقال، وبعد الإفراج عنه تناقل الناشطون والصفحات صور آثار التعذيب على جسده.

بينما وفي الفترة ذاتها قُتل اثنان من أبرز ناشطي مدينة كفرنبل "رائد الفارس وحمود جنيد" على يد ملثمين وفي منطقة خاضعة للنصرة، وبعد أن كانت قد اعتقلتهم سابقاً ووجهت لهم العديد من التهم، وتلقوا منها التهديدات بشكل متكرر، ولكنها بعد مقتلهم بكل سهولة نفت مسؤوليتها أو علمها بمن قام بذلك لعدم وجود أي دليل، ورغم تأكيدات الكثيرين بأنها من تقف خلف الحادثة إلا أن الغالبية فضّل الاكتفاء بنسب القتل لمجهولين أو ملثمين.

يجمع المستبدين أينما وُجدوا الكثير من القواسم المشتركة، يتبادلون الخبرات في الوصول إلى غاياتهم السلطوية وإن اختلفت، ولو كان الثمن حياة وحرية المواطنين القاطنين تحت سيطرتهم.

بمحبتهم.. حولوا أكثر دول العالم برودة إلى دفء السوريون في السويد

ياسمين محمد

تتوالى الاتصالات والهواتف لا تصمت، ولا تنزل من الأيدي منذ أن وصلت إلى منزل عائلتي في السويد.

أشخاص كثر لا أعرفهم يطمئنون فيما إذا كنت قد وصلت أم لا، كما يستفسرون عن حادثة السرقة التي كان قد تعرض لها منزل عائلتي قبل أقل من ٢٤ ساعة من وصولي، يسألون عن حجم المسروقات ويعرضون المساعدة، لا سيما أن عائلتي تتحضر لإقامة حفل زفاف لأختي، والتي كان كلّ ما جهّزته لزفافها من بين المسروقات، وأصبح عليها التوجه إلى الأسواق بأقصى سرعة ولأطول وقت ممكن لاستدراك ما حصل خلال يومين فقط.

في حفل الزفاف، لم أتمكن من حفظ كل الوجوه والأسماء التي جاءت تعرفني بنفسها وتطمئن فيما إذا كانت رحلتي مريحة أم لا، وتهنئني بوصولي ولقاء عائلتي بعد سنوات من الغياب.

بعد الزفاف أصبحت الاتصالات للتهنئة، والسؤال حول المستجدات بخصوص السرقة، بالإضافة لأخذ موعد للزيارة ويُفضّل أن يكون قبل مغادرتي للسويد.

لا يوجد معرفة مسبقة بيني وبين أيٍّ منهم على الإطلاق، ولكن عادات السوريين وطباعهم وألفتهم، إلى جانب رغبتهم ببناء مجتمع سوري مصغّر متماسك يقف في وجه ظروف الاغتراب وصعوبتها، وخلق عائلة وعلاقات اجتماعية في مكانهم الجديد، لا سيما أن معظمهم حالهم حال السوريين جميعاً، عائلاتهم مشتتةً ما بين سوريا ودول اللجوء المجاورة لها، وبين أمريكا وأوروبا.

يبدو أن السوريين في تلك المدينة السويدية الصغيرة، اتخذوا قرار التحدي والصمود أمام ظروفهم الحياتية الجديدة، وذلك عبر التقارب والتآلف فيما بينهم، والتمسك بعاداتهم وبالالتزامات الاجتماعية والزيارات كما كانت في سوريا، برغم الاختلاف الكبير في الظروف.

ربما ساعدتهم القوانين السويدية المتعلقة باللاجئين بشكل كبير في تقاربهم خلافاً لما هي عليه في دول لجوء أخرى، إذ تُحتّم القوانين على اللاجئين الالتزام بدوام يوميّ في مراكز تعليم اللغةً السويدية، ما يخلق فرصاً للتعارف فيما بينهم واللقاء المتواصل ومعرفة ظروف وحياة كلّ منهم، فضلاً عن وجود أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين هناك.

من عدة مدن سويدية، من العاصمة إلى مدن الشمال وغيرها، توافد سوريون إلى الحفل، بعضهم من الأقارب، والبعض من أصدقاء قدامى للعائلة، وآخرون ممن كانوا يقطنون في المدينة وحصلوا على سكن في مناطق أخرى.

السوريون في السويد حوّلوا واحداً من أكثر البلدان برودةً في هذا العالم إلى مكانٍ دافئ، وقلبوا الصالات الباردة والمقاعد الباهتة إلى لوحات مزينة بالألوان والأفراح، ونقلوا القاعات النائية إلى وسط مساكنهم، كما نقلوا تجاربهم وإبداعاتهم، تشاركوها فيما بينهم، وشاركوا السويديين والعديد من الجنسيات العربية وغير العربية اللاجئة فيها.

اللون الأبيض الذي تتغطى به أراضي السويد غالبية أيام العام، توافق مع ألوان قلوب السوريين رغم السواد الذي اتشحت به حياتهم.

في زيارتي التي مرت عليّ بسرعة البرق، كل شيء كان فيها سريعاً، جلساتي مع أفراد العائلة ليل نهار دونما رغبة بالنوم، لقاءاتي بأصدقاء العائلة لبضع ساعات، الجلسات والسهرات النسائية مع المهنئات والمباركات، والأهم هو التكاتف والألفة والمحبة التي رأيتها وعشتها هناك جعلتني أشعر بأنني في سوريا من جديد.

أحببت ذلك الفرح الذي لم أعشه منذ ثماني سنوات، وها أنا اليوم أتلقى كل يوم تحيةً مرسلةً لي مع أحد أفراد عائلتي من الأصدقاء هناك، وأنتظر الفرصة الجديدة للزيارة القادمة والفرح الجديد.

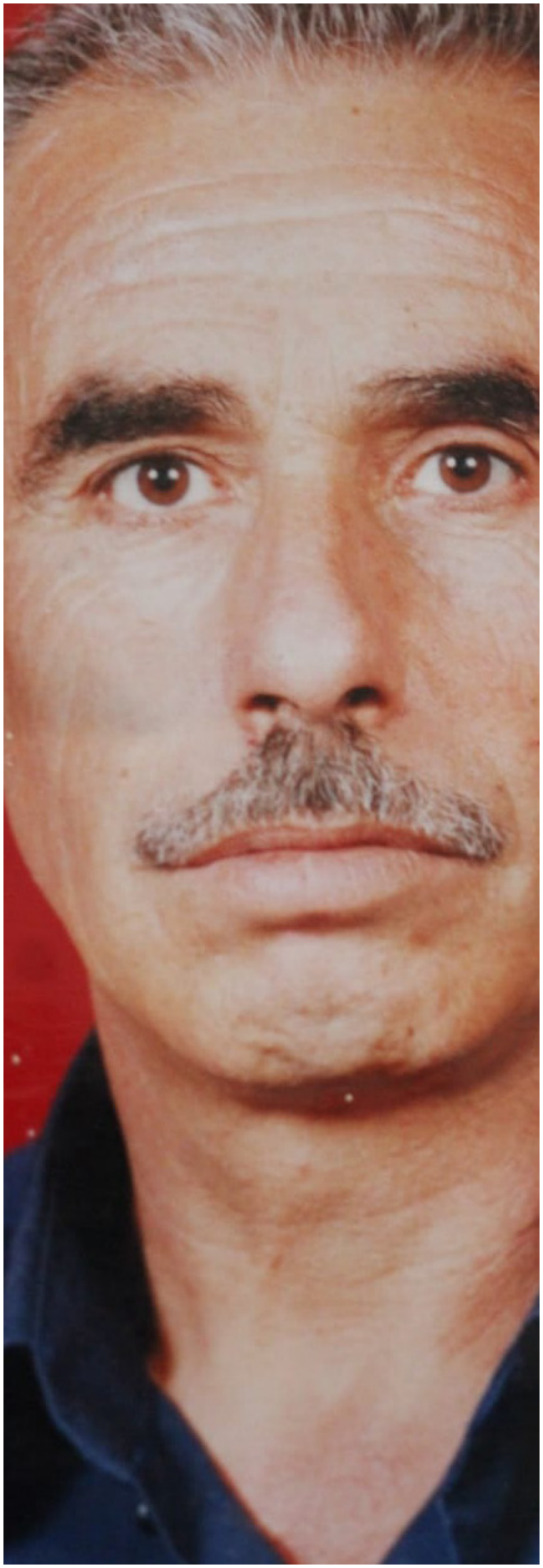

أراد أن يجنب أطفاله اليتم الذي ذاقه فتكررت المأساة

بحباته المتراصفة بطريقة هندسية كخلايا النحل، وبطعمه المدهش الذي يفاجئ حليمات الذوق في الفم بعد أن ينفجر السائل المنعش، وبلونه الأرجواني المتدرج من الأبيض حتى القاني المثير والمحرض على تناوله، يتصدر الرمان رأس الفاكهة الخريفية لدى معظم الأمم والشعوب.

غادة باكير

لم يكن الابن قادراً على التفوه بـأيـة كلمة، كما أختـه التي اكتفت بالتعبير عـن وجعها بدموعها، وحدها تلك المرأة الجبلية الصلبة كانت قادرة على المكابرة، حين تكلمت بشموخ جبل الـزاويـة مسقط رأسها ورأس زوجها.

الشهيد «إبراهيم محمد العمر» مواليد ١٠ آب عام ١٩٥٠، كان يقيم مع عائلته في دمشق، وذلـك بحكم عمله السابق موظفاً في دائـرة الجمارك، وعندما اندلعت الثورة السورية كـان أحـد أبـنـاء إبـراهـيـم في سـن الخدمة الإلـزامـيـة، فآثر إبراهيم وعائلته ترك منزلهم في مشروع دمر بدمشق عام ٢٠١٢، والـعـودة إلـى قريتهم «كفر حايا» في جبل الزاوية، وذلك حتى لا يضطر للالتحاق بالخدمة العسكرية في صفوف الجيش الذي يقتل أبناء بلده.

وفي حزيران عام ٢٠١٣، ذهب «إبراهيم» إلى دمشق لتفقد أحوال منزله في ظل ما يحدث من انتهاكات وسرقات واستيلاء على الـمـنـازل، لـم يخطر في بـالـه أن يعتقل وهـو الرجل الكبير في السن والمتقاعد من الخدمة، وذلك على الرغم من تحذيرات زوجته له، نظراً لكونه شارك بالثورة مع أبنائه الثلاثة الشبان، بحسب زوجة الشهيد «إبراهيم العمر»، والتي أضافت: «على غير ما توقعه إبراهيم، تم اعتقاله في دمشق، أبلغتنا باعتقاله قريبة لنا تقيم هناك، فأوكلنا أمر الدفاع عنه إلى محام من قرية «الفطيرة» القريبة، ووعدنا أن يبلغنا أي خبر عنه، أو مكان وجوده، ويسعى لإخراجه من السجن، ولكنه لم يتمكن من فعل شيء في بداية الأمر، بعدها خرج شقيق زوجي من السجن، وكان قد التقى بأخيه إبراهيم في الفرع ٢١٥ في كفر سوسة بدمشق، قبل أن يتم إطلاق سراحه ويبقى زوجي الذي لم يرحموا كبر سنه، واستمروا في تعذيبه حتى استشهد في ١٩ آذار عام ٢٠١٤».

خرج شقيق إبراهيم من السجن وترك شقيقه حياً، ولكنه شهد مدى التعذيب الذي تعرض له إبراهيم في تلك الفترة، لتتفاجأ الـعـائـلـة بـعـد فـتـرة باتصال من المحامي يبلغهم فيه أن إبراهيم استشهد، وأن جثته في مشفى تشرين، وبالطبع شقيقه لم يستغرب نظراً لما شاهده من تعذيب لأخيه، ولـم تفكر العائلة بعد ذلك بالحصول على شهادة وفاة لإبراهيم، ولا بتفقد المنزل مرةً أخرى.. فما خسرته أكبر وكان كافيا لها.

يقول ابن الشهيد «إبراهيم» بـصـوتٍ مـخـنـوق: «كـان أبي حنوناً جـداً علينا، ربما لأنه عاش يتيماً فأراد أن يمنحنا كل العاطفة التي حُـرم منها في صغره، أفتقده في كل لحظة، وأحتاج وجـوده إلى جانبي في كل موقف».

تضيف زوجـة الشهيد: «ثلاثة شبان وخمس بـنـات.. حِـمْـلٌ ثقيل تركه على كاهلي، سافر شابان إلى الخارج وبقينا نعيش في هذا المنزل، لم نكن نتوقع أن يتحول حالنا إلى هذه الدرجة من البؤس، غادرنا منزلنا في دمشق حاملين بعض الأشياء الهامة فقط، وظننا أننا سنعود قـريـبـاً، لقد خسرنا منزلنا، والأصعب أننا خسرنا إبراهيم، وخسرنا حياتنا معه، ولم يبق لنا سوى الذكريات والصور».

المراهقات أكثر عرضة للاكتئاب بسبب مواقع التواصل

ربيع سلام

ليس مجرد يوم حزين يمر به الإنسان أو مجرد لحظات من الكآبة يمكن تخطيها، وليس علامة ضعف عند الشخص أو قلة حيلة على الصعيد الشخصي أو العقلي، الاكتئاب هو مرض مزمن وخطير مثل داء السكري أو ارتفاع ضغط الدم، وهو بحاجة لرعاية طبية وعلاج ملائم، وهو مرض عقلي يؤثر على مزاج الإنسان ويؤدي لحدوث تغيرات في طريقة تفكيره ومشاعره وسلوكه، ويمكن أن يؤدي إلى مجموعة متنوعة من المشاكل العاطفية والجسدية، ومن أعراض الاكتئاب الشعور بالحزن وفقدان الاهتمام واحتقار الذات، ويمكن أن يؤدي إلى الانتحار.

تبدأ معظم حالات الاكتئاب من عمر ١٤ إلى ٣٠ عاما، وتم تشخيص ضعف العدد من النساء بالمرض مقارنة مع الرجال، ولا يعرف هل السبب أن النساء أكثر عرضة للمرض بسبب طبيعة بنيتهن البيولوجية، أم إنه عائد إلى أنهن يطلبن المساعدة الطبية لهذا المرض بشكل أكبر من الرجال الذين قد يحجمون عن مراجعة الطبيب النفسي، لاعتقادهم أن الاكتئاب دليل على الضعف وليس من صفات الرجال.

وقالت منظمة الصحة العالمية في تقرير لها في آذار ٢٠١٨ أن الاكتئاب يؤثر على أكثر من ٣٠٠ مليون شخص حول العالم، ويمكن أن يسبب معاناة كبيرة للشخص المصاب به، وتردي أدائه في العمل أو في المدرسة أو في الأسرة، ويمكن أن يفضي في أسوأ حالاته إلى الانتحار، وفي كل عام يموت ما يقارب ٨٠٠ ألف شخص جراء الانتحار الذي يمثل ثاني سبب رئيسي للوفيات بين الفئة العمرية من ١٥ – ٢٩ عاماً.

وفي دراسة قامت بها جامعة كوليدج في لندن ونشرتها وكالة رويترز يوم الجمعة الماضي، أثبتت أن المراهقات أكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب من المراهقين، وأنهن يستخدمن الانترنت لساعات أكثر.

وحللت الدراسة بيانات نحو ١١ ألفا من الشباب في بريطانيا، فوجد الباحثون أن الفتيات في سن الرابعة عشرة كن أكثر استخداما لوسائل التواصل الاجتماعي حيث يستخدمها نحو ٤٠ بالمئة منهن لأكثر من ثلاث ساعات يوميا مقارنة مع ٢٠ بالمئة من المراهقين.

وقالت الدراسة إن أعراض الاكتئاب المرتبطة باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي تظهر على المراهقات أكثر مما تظهر لدى المراهقين، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى المضايقات على الإنترنت واضطرابات النوم وكذلك الانطباع السلبي عن شكل الجسد وتراجع تقدير الذات.

وناشدت إيفون كيلي، الأستاذة في معهد علم الأوبئة والرعاية الصحية في جامعة كوليدج، والتي ترأس فريق الأبحاث، أولياء الأمور وصناع القرار بالاهتمام بنتائج الدراسة، وقالت أنه يجب وضع إرشادات للاستخدام الآمن لوسائل التواصل الاجتماعي وتنظيم ساعات استخدام الشباب لها.

أعراض الاكتئاب لدى المراهقين

يمكن أن تتضمن أعراض الاكتئاب لدى المراهقين الحزن، والغضب بسبب أمور صغيرة أو تافهة ، الشعور بالإحباط وانعدام القيمة، وضعف الأداء المدرسي، الشعور بإساءة الفهم والحساسية المفرطة، وتعاطي المخدرات أو الكحول، اضطرابات النوم التي قد تشمل الأرق أو النوم الكثير، اضطرابات الشهية فقد يفقد الشخص الشهية ويخسر الوزن، بينما يرغب آخرون في تناول الطعام بشدة، فقدان الاهتمام بالأنشطة الطبيعية التي كانت ممتعة للشخص كزيارة الأصدقاء أو ممارسة الهوايات، تجنب التفاعل الاجتماعي، الشعور بعدم القيمة وفقدان احترام الذات.

ومن الأعراض أيضا تباطؤ في التفكير وبطء في الكلام والحديث وحركة الجسم، استرجاع ذكريات الماضي وتوجيه اللوم الذاتي، صعوبة في التفكير والتركيز واتخاذ القرارات حتى البسيطة منها كاختيار الملابس التي سترتديها قبل الخروج من المنزل، نوبات من البكاء من دون سبب واضح، آلام جسدية تفتقر لسبب طبي كآلام الظهر والصداع، التفكير في الموت والانتحار.

العلاج والوقاية

تشمل خيارات العلاج استعمال الأدوية والعلاج النفسي الذي يتضمن استشارة أخصائي نفسي ومناقشة المشاعر والأفكار معه، حيث يزود الشخص بمهارات جديدة في التعامل مع أفكاره وإدراكه، ولقد أثبت العلاج النفسي أنه وسيلة فعالة لعلاج الاكتئاب، حيث إنه يساعد في التخلص منه وذلك للأسباب التالية: يمكن للشخص أن يتعلم كيفية تحديد طرق التفكير الشخصية وبالتالي سيكون قادرا على تغييرها، فهمه للأسباب التي تجعله يشعر بالاكتئاب، إدراك المريض لمشاعره ومشكلاته الشخصية وتفسيره لها بشكل أوضح، وتعلم طرق جديدة ليعبر بها عن نفسه.

الوقاية:
لا توجد وسيلة مضمونة لمنع الاكتئاب، وذلك لأنه مرض تتداخل فيه عدة عوامل بيولوجية وسلوكية، ولكن هناك خطوات يمكن من خلالها تقليل احتماليته، والمساعدة في تشخيصه والتعامل معه في مراحله الأولية، منها: ممارسة الرياضة والتمتع بالنشاط، الابتعاد عن الخمر، المحافظة على شبكة اجتماعية داعمة من الأصدقاء والعائلة وخاصة في أوقات الأزمات، معرفة معلومات كافية وموثوقة عن الاكتئاب وخاصة إذا كنت من الفئة المعرضة له، التعامل مع الضغط وتقليله، الانتباه للأعراض المبكرة التي قد تكون منها اضطرابات النوم أو الأكل، مراجعة الطبيب فورا إذ إن تأخير في العلاج يؤدي إلى تفاقم المرض وصعوبة علاجه.

تجلس الفتيات المراهقات لفترات طويلة على وسائل التواصل الاجتماعي، وتدخل العالم الافتراضي لتبحث عما يجول في مخيلتها من أحلام وتطلعات لحياة وردية، لكنها تنصدم أحيانا من المضايقات عبر الانترنت، ما يسبب لها الاكتئاب، وهدم كل ما بناه الخيال أو افترضه مسبقا، فهل تدرك المراهقات أن الخيال لا يستوعب دائما كل الأماني والأحلام.

قبل شروق الشمس

رائد رزوق

تقول القصة إن فتاة فرنسية إلتقت بشاب أمريكي على متن قطار كان متجهاً إلى فيينا، وكانت قد غيرت مقعدها بعد أن ضايقها جدل زوجين روسيين ظلا يتشاجران بجانبها، بعد تعارف بسيط دعاها إلى كافيتريا القطار، ولأنها قضت صيفا في إحدى مدارس لوس أنجلس ومدة في لندن فإنها كانت تتقن الإنكليزية بطلاقة، في حين لم تنفعه السنوات الأربع التي درس فيها اللغة الفرنسية وزياراته السابقة لباريس في إجادة اللغة الفرنسية.

شابان وسيمان خفيفان على القلب، كانت الحياة أمامهما، يتلمسان بشغف وفضول تجارب الحياة، يستطلعان مشاعرهما بصدق دون إكراه، روت له على طاولة الطعام كيف كانا والداها يفكران في مستقبلها، فحين كانت تقول بأنها ترغب بأن تكون أديبة كانا يقولان لها تقصدين صحيفة، وإن قالت إنها ترغب بأن يكون لديها مأوى للقطط كانا يقولان طبيبة بيطرية، هكذا كانت تشتكي من تحويل تطلعاتها وأحلامها إلى مهن تدر كسباً مادياً.

حكى لها عن طفولته حين أخبرته والدته بوفاة جدته، وكيف علمته أخته على سقاية الحديقة، نصحته بأن يوجه الماء باتجاه الشمس حتى يتجلى له قوس قزح، لكنه حين ضغط على خرطوم الماء ظهر له وجه جدته مبتسماً، كان واثقا مما رآه، لكنه حين أخبر والداه نهراه وأخبراه أنه لا يمكنه رؤية الأشخاص حين يموتون.

كانت تخاف الموت وتفكر فيه طيلة الأربع والعشرين ساعة، ولهذا فهي تفضل ركوب القطار على الطائرة، إذ كان بإمكانها أن تستقل الطائرة من بروكسل إلى باريس، ورغم معرفتها بكل المعلومات عن أن إثبات الاحصائيات لسلامة النقل الجوي وما إلى أخره من كلام فارغ، إلا أنها كانت دائما تفكر بتلك اللحظات التي تعقب سقوط الطائرة بين الغيوم والرعب من لحظات الاحتضار، كانت تفكيرها الدائم بتلك اللحظات يضنيها.

لدى وصولهما إلى فيينا كان عليه أن يودعها ويغادر القطار، لكنه عاد إليها بشكل مفاجئ بفكرة مجنونة: "لدي فكرة أود أن أطرحها عليك حتى لا تلاحقني لبقية حياتي، ما رأيك أن تغادري القطار معي ونقضي ليلتنا متجولين في المدينة، ستقلع طائرتي غدا صباحا إلى استراليا وليس معي ما يكفي من النقود لغرفة فندق، ولذا سأبقى أتجول طوال الليل في شوارع المدينة"

حين ترددت قال لها: "فكري بأنك متزوجة بعد عشر سنوات وحين ستتشاجرين مع زوجك ستفكرين بكل الشبان الذين مروا في حياتك وسأكون واحدا منهم، وربما ستندمين على اختيارك، ولذا فإن غادرت معي الليلة ستقدمين لنفسك ولزوجك معروفا، لا سيما إن كنت مريضا ومملا فستعرفين في ذلك الوقت أن اختيارك لزوجك كان صائبا".

بعد مغادرتهما للقطار تبادلا اسميهما، كان يدعى جيس وكان اسمها سيلين، ومن خلال لعبة السؤال والجواب راحا يستكشفا جوانب شخصيتهما، تحدثا عن الرغبة والحب، ولم يوفرا فرصة للتأمل ببعضهما حين يستدير كل منهما، وفي تجوالهما اعترفت له بحبها للمغامرة والتمرد، فقد ولدت من أبوين متحررين وثائرين، تمكنا من تحدي الحكومة والمحيط الديني المتزمت، ونجح والدها في أن يكون مهندسا غنياً وهو ما حرمها من نعمة الاحتجاج لقناعتها بأن التمرد والاحتجاج هو حالة صحية.

من جانبه كان يحب أن يعيش يومه على أنه اليوم الأخير في حياته، وكأن حياته هي من صنعه، ذلك لأن والدته كانت قد أخبرته في إحدى شجاراتها العنيفة مع والده أن والده لم يكن يرغب بقدومه، وهو ما ترك في نفسه إثراً، لم يكن والداه متحابان كما لم يكونا ناجحين، اتفقا على البقاء معا من أجله فقط وحين كبر انفصلا.

تحدثت له عن حزنها حين أخبرتها جدتها أنها قضت حياتها مع جدها دون أن تحبه، مقتنعة بقدرها، وظلت طيلة السنوات تحلم بشاب أخر، أكد لها جيس أن ذلك كان أفضل لجدتها فلو أنها تزوجت من ذلك الشاب لكانت بحثت في ذاكرتها عن غيره حين ستتشاجر معه، إن استمرار السعادة في الزواج هو مجرد كذب محض، ولن يصمد الحب طويلا أمام روتين الحياة المعادة، ولن يبقى هناك من حديث يمكن أن يناقش، ستسيطر الفروقات الصغيرة والعادات المكروهة من الطرفين، سيطلق كلا الزوجين صفات أبدية على الشريك كيقين مطلق، وربما سيتحولان إلى ألد عدويين، بقاؤهما معا سيبقى لعنة أبدية تطاردهما.

ذابا معا في تلك الليلة وهما يتحدثان عن القدر والفن عن الحب والحياة، كانت ساعات مملوءة بالفرح والسعادة وكل منهما كان يريد أن يناقش كل قضاياه دفعة واحدة مع الآخر، كانا يتسابقان مع الساعات قبل أن تنقضي ويحل الفراق الذي كان يحكم لقائهما القصير.

في الكنيسة كانت تحكي عن دهشتها من عظمة المكان الذي يؤمه الناس ليبوحوا بأخطائهم وآلامهم، على مر السنين كانوا يجمعون فيه الألم والسعادة، كان لديها شعوراً بأنها امرأة عجوز وأن حياتها هي مجرد ذكريات لتلك العجوز، بينما لم يكن شعوره يتعدى ابن الثالثة عشر، وأن حياته هي مجرد تمثيل على أنه ناضج، بعبارة أخرى كان يؤدي دور البالغين.
تذكر في الكنيسة تلك الحادثة التي جرت حين كان مع صديقه،

فقد توقفا بسيارتهما بجانب متسول، صديقه الملحد أخرج ورقة من فئة المئة دولار ومد رأسه من نافذة السيارة سائلا المتسول "هل تؤمن بالله" أجاب المتسول وهو ينظر إلى وجه صديقه وورقة المئة دولار "نعم بالطبع" عندها سحب صديقه الورقة قائلا "إجابة خاطئة" لتنطلق السيارة.

حين نحب فإننا نضع الخطط والاستراتيجيات لمعرفة الأخر، ما هي نقاط ضعفه ما يحب وما يكره، ما يغريه وما يؤلمه، يمكن أن نصل إلى حصاره، كي لا يجد مفرا منا، نخشى الرفض، ونخشى أن ننزوي في النسيان، نسعى دوما لكي نكون محط اهتمام الناس، نسياننا يعني موتنا، لذا قد نصبح جلادين بلا رحمة، أنانيين حاقدين وقتلة، لكن دائما هناك أناس بسطاء وطيبون لا يسعون إلى الشهرة والمجد، أناس لا يسعون إلى احتلال الذاكرة ولا يهمهم أن يكونوا محور العالم وقادته، رغم أنهم هم من يستأهلون قيادة العالم لأنهم الأقدر على تقديم المساعدة للأخرين.

مضحك كيف يقول الناس عن الحب أنه عطاء مجرد من الأنانية، لكنهم لو فكروا قليلا لما وجدوا أنانية أكثر من الحب بحد ذاته.

رجل متقدم في السن قال لسيلين ذات مرة أنه قد هدر حياته كلها في عمله ولم يمنح شيئا منها لأحد، لم تكن حياته لأحد أو لشيء، كان على حافة البكاء وهو يروي لها ذلك، من المؤلم أن تمضي ولا تترك خلفك شيئا، ما ندعه خلفنا هو استمرار بقائنا، هو المقاتل الذي نستودعه أمانة ألا ننسى بعد الموت.
في حديثهما عن الجنس ورغبة الرجل في معاشرة أكبر قدر من النساء يقول جيس: "تخيلي جزيرة عليها ٩٩ امرأة ورجل واحد، بعد عام يمكن أن يكون لدينا ٩٩ طفل، بينما لو كان على تلك الجزيرة ٩٩ رجلا وامرأة واحدة فلن يكون هناك سوى طفل واحد"، لكن سيلين ترى أن على الجزيرة ذات الأغلبية الذكورية لن يبقى هناك سوى ٣٤ رجلا لأنهم سيتقاتلون على تلك المرأة المسكينة، كان ذلك محاولة لإثبات أهلية الرجل أمام إمكانية المرأة.

متسول يكتب شعرا، اعطاهما قصيدة قال إن لم تضيف شيئا إلى حياتهما فليسا ملزمين بالدفع له، كما احتالا على بائع حانة بقصة مزيفة ليحصلا على زجاجة نبيذ، شرباها وهما مستلقين على عشب الحديقة حيث عاشا رغبتهما.

لو كان هناك إله فلن يسكن في داخلك أو داخلي، سيسكن في تلك المسافة التي بيننا، وإن كان هناك سحر سيكون في محاولة فهم أو مشاركة شخص ما، فلا سعادة دون شريك.

رقصا معا وجلسا في ساحات المدينة فجر ذلك اليوم، قرأ لها الشعر، وباحت له بأحلامها، أخذ صورة لها في مخيلته كي لا ينساها، وحين وصلا إلى محطة القطار ارتبكا، لم يكونا قد اتفقا على لقاء، فراحا يطرحان المواعيد بشكل فوضوي، لكن في النهاية اتفقا على أن يلتقيا بعد ستة أشهر في تلك المحطة.
ما أن جلسا كل في مقعده حتى علت وجهيهما ابتسامة وشرود، ثم غطا في نوم عميق بعد ليلة لن ينسوها.

من فيلم قبل شروق الشمس

ذات الرداء الأسود

سحر الأحمد

هذا الصباح شتوي بامتياز، بل هذه البلاد هي الباردة بامتياز، درجة الحرارة في هذا الوقت من السنة، لا تتعدى الدرجتين.

المطر منذ عمق الليل مازال ينهمر بغزارة، الناس هنا في هذا الفصل من السنة، قبل أن يقرروا الخروج، يتحصنون بالملابس، إنهم يرتدون كل مالديهم من ثياب حتى يتحايلوا على الصقيع، فيصبحون كالأصنام المتحركة.

بغير تأنٍ، أسرعتُ لأدرك الحافلة التي أراها تقترب من المحطةِ بسرعةٍ تفوق خطواتي بأمتار، إلا أنني لم أستطع إدراكها، بدأت تبتعد وهي تضحك وتقول لي: ستظلين وحيدة مع المطر تنتظرين الحافلة التالية، عقوبة على تأخرك علي.

الحقيقة أنني لم أكن آسفةً على عدم إدراكي لهذه الحافلة وبهذا الوقت بالذات،

جُزءٌ مني لا يريدُ أن أتقابل مع المرأة صاحبة الكيس الأسود كما أسميتها أنا، والتي تقاسمني صباحي في هذا الوقت بالذات.
عندما أصعد الحافلة من محطتي صباحا كل يوم أجدها، وبغير رضىً مني أبحثُ عنها، تعودت أن أول من يقع نظري عليه من الركاب تلك المرأة.

صرت على موعد ثابت معها، دون جهد أجدها، تبدو كشبح هرب من الزمان، وسنواتها التي لم تتجاوز الأربعين قد خانتها مع الحياة.

تأخذ مكانها في منتصف الحافلة واقفة رغم وجود مقاعد خالية من سكانها،
منتصبة، شامخة، هادئة، عيناها تجوب الوجوه كعيني نسرٍ حذرٍ يكاد ينقض على فريسته.

ترتدي دائما ذلك الثوب الرقيق الملون المهترىء، الذي يكشف ما يكشف من جسدها الأبيض، غير مبالية بفصول السنةِ وتقلباتها.
أبادلها النظرة العميقة، كأنها تحية صباحنا، وبدافع الفضول تبدأ داخلي ثورة من الأسئلة حول هذه المرأة.
هل هي بكامل وعيها؟، هل يهجرها عقلها أحيانا، وأحيانا أخرى يعود فيلبس رأسها؟، إلي أين تذهب هذه المسنة الأربعينية، متلحفة فستانها الأزلي وكيسها الوسخ كل صباح؟..
أسئلةٌ متبدلة تدور داخلي، تعبث بمزاجي وتحوله إلى مزاج ضبابي متجهم، حتى أبلغ وجهتي.

وَصلَتْ الحافلة، دخلتها بابتسامة واضحةٍ على محياي، فأنا لن أتقابل اليوم مع من تبعثر مزاجي، "امرأة الكيس الأسود"، لم تحاول عيناي كما جرت العادة، أن تبحث عنها، هي لا تتأخر، وذهبت بكل تأكيد في الحافلة التي فاتتني منذ قليل.
قبل أن أجلس على المقعد في منتصف الحافلة، لمحتُ ابتسامةَ فرح على وجهٍ أعرفهُ تماماً، كأنها تقول صباح الخير، كأنها عثرت على ضالتها بعد طول انتظار.

إنها هي ذاتُ الكيس الأسود!، هل تضامن القدر معها باللقاء الصباحي وخذلني؟، قلت في نفسي.

بادلتها الابتسام بعد أن قررت أن تكون عملي لهذا اليوم، علني أجد أجوبة لأسئلتي عنها، فأرضي فضولي.
ازدحمت الحافلة بالركاب، كنت أتابعها بنظري لألحق بها عندما تنزل، ولكن هي لحظات ولم أعد أراها، فدسست نفسي بين الزحام أبحث عنها ولم أجدها.
انزعجت من فكرة أني أضعت يومي، لم ألتحق بعملي، ولم أفلح بتعقب المرأة وفك لغزها.
في المحطة التالية توقفت، مشيت على غيرِ هُدىً مني، قاصدةً أول مقهى يصادفني، المقاهي في هذه البلاد كثيرة، تنتشر في كل مكان، حتى أنك تخالُ أن المدينة تسكن في المقاهي، عندما اقتربت من المقهى المواجه للساحةِ التي توقفت فيها، تناهى إلى سمعي غناءٌ جميل، وصوتٌ أجمل، أقربُ ما يكون إلى التراتيل.

نسيت أمر قهوتي والسجائر، بدأت أتتبع مصدر الصوت، بانت لي جموع حمام، تلتقط ما استطاعت أفواهها الصغيرة من الحبوب وتطير، ثم تهبط من جديد، لتأخذ ما تبقى لها من نصيب.

استغربتُ المشهد، فكيف للحمام أن يكون متواجداً في ظلِ هَذا الوابلِ من المطر، الأحرى به رغم جوعه أن يكون الآن في أماكنه التي اتخذها منازل له، ليتلقى تدفق المطر الذي يأبى أن يتوقف.

إلا إذا كان قد تعود على يدٍ تنثر له طعامه كل يوم في هذا الوقت بالذات.
صرت قريبة من جموع الحمام، والصوت الذي تحول من الغناء إلى المناجاة يقول :
كم كنت ياحبيبي أنانيا،
عاهدتني لما أتينا هذي البلاد
أن تكون لي وطنا
كنت تردد أنك ستبقى تغني
معي بكل الساحات
ألم تقل لي في كل شتاءٍ أني
دافئة كجمرة في موقدك
في كل ليلة أترك لك مكانك في
سريري وأنتظرك
أستيقظ في جوف الليل،
أتحسس جسدك، فلا أجد غير
البرد
أناديك أنا ....
كل صباح أرتدي فستاني الذي
تحبه، أسرع إليك، أصل في
الوقت المحدد، فلا تكون .
عندما تغضب مني تخرج
وأجدك تطعم الحمام
أُقبِلُ عليك، ترمي الحبوب،
فيهيج الحمام فرحا
تُطَوقُ يداك خصري، تحملني،
فيطير فستاني الملون مع صوت
غنائنا
كل صباح، أحمل لك في كيسنا
رجائي
ما زلت أنتظر، إما أن تأتي أو آتي
أنا إليك
وسط الساحة المقابله للمقهى،
كانت تجلس كراهبة، صرت
قبالتها، يغطينا موج الحمام،
ويلفنا مطر كثيف.
دون أن أدري وجدتني أردد
بصوت عالٍ:
"إذا هجرتً فمن لي
ومن يُجَمِلُ كُلّي
ومن لِروحي ورَاحي
يا أكثري وأقلي".
رد صوتها كصدى عميق
لصوتي:
أَحبَكَ البعضُ مني
فقد ذهبت بكلي
ياكُلَ كُلّي
فمن تَكنْ لي
إن لم تَكنْ لي
فمن لي

لا أدري كم من الوقت مر علينا، عيوننا تحكي الحكايا العتيقة، قبل أن أفترش الأرض معها والمطر، ونكمل الغناء سويا.
يقولون: إن هذه المرأة أستاذة جامعية، تحمل درجة الدكتوراه في أدب اللغات، ويقولون: إنها أهم مغنية أوبرا في بلادها التي تركتها تصحو كل يوم على وابل من الموت.

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع